الراوي والمروي له في الحديث النبوي

- دراسة بنيوية -

أ . د . سرحان جفات سلمان   م . م . عبد المحسن جاسم محمد

الخلاصة

يبين هذا البحث ما للراوي والمروي له في الحديث النبوي الشريف من وظائف يقومان بها ، فرضتها المادة الحكائية ، مما أُتِح للباحث الفرصة في تطبيق الآليات التي اقترحها (جيرار جينيت) للكشف عن تلك الوظائف ، متوخياً في ذلك إظهار بنيتهما التي تكون مع البنى الأُخرى بنية الحديث النبوي الشريف .

المقدمة

تتكئ مادة الحديث النبوي على ثلاثة عناصر ، لا يمكن الاستغناء عن واحد منها ، هي (الراوي ، والمروي ، والمروي له) فالمروي – وأن لم يكن موضع اهتمامنا في هذا البحث – له صلته الوثيقة بالراوي ؛ لذا فإنه يتضمن نوعين أو نمطين من القص ، الأول، أن يتولى الراوي الأحداث بصوته ليكون وسيطاً في نقلها إلى المروي له ، والآخر هو قصها بشكل مباشر ، إذ يُضمر فيها صوته ويخفت ، وتتولى الشخصيات إظهار ما يتم سوقه من أحداث متخذين من الحوار طريقاً لإيصال ما يبتغونه إلى المروي له ، وقد عُرف هذان النمطان في عالم الحكي أو القص أو السرد بـ (السرد الموضوعي) ، و(السرد الذاتي) .

ومن هذا المنطلق ، اقتضت خطة البحث إن تتألف من (توطئة) تضمنت حديثاً عن مفهوم الراوي والمروي له ، ليكون لنا بعد ذلك وقفة مع (السرد الموضوعي) و(السرد الذاتي) ، ومن خلالهما أبرزت للراوي وظائف ، عمدنا إلى بيانها الواحدة تلو الأخرى ، لنخلص إلى الكشف عن بنية المروي له ، وما يقوم به من وظائف ، نطق به نص الحديث النبوي ، لننتهي إلى الخاتمة التي اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها هذا البحث .

توطئة

يعد الراوي والمروي له من مكونات القصة أو الخبر أو السرد الرئيسة، إلى جانب المكون الثالث (المروي)، ويستلزم وجود كل مكون من هذه المكونات وجود الآخر، وقد

عرفت الشعوب كلها هذا الأمر، ومجلى ذلك في إرثها الحضاري من ملاحم وأساطير وحكايات، فلا يمكن أنْ تقصى هذه الظاهرة القديمة من بنية حضارة ما، إذ أنَّ الإنسان ارتبط بها وهو يحاور الطبيعة، ويتساءل عن الوجود، ليجعل منها فضاءً ينفّس فيه عن همومه الوجودية .

لقد اتخذ هذا المكون الثقافي صفة كونية شاملة، تبدى ذلك في ضوء حضوره الممتد عند الشعوب كافة بصورٍ وأشكالٍ متعددة، سواء أكان شفوياً أم مكتوباً، بسيطاً أم مركباً، فطرياً أم مصنوعاً، فكان ملجأ الثقافات المختلفة، لتعبر من خلاله عن بعض أحوالها ومواقفها، فهو كما قال(رولان بارت): (فعل لا حدود له يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية، أو غير أدبية، يبدعه الإنسان أينما وجد، وحيثما كان، يمكن أنْ يؤدي الحكي بواسطة اللغة المستعملة، شفاهية كانت أم كتابية، وبواسطة الصورة ثابتة أو متحركة، وبالحركة، وبواسطة الإمتزاج المنظم لكل هذه المواد، إنَّهَ حاضر في الأسطورة، والخرافة ، والأمثولة، والحكاية والقصة والملحمة، والتاريخ والمأساة والدراما والملهاة والإيماء، واللوحة المرسومة، وفي الزجاج المزوق والسينما والأُنشوطات والمنوعات والمحادثات)[١] .

من هنا فإنَّ الوعي ببنية الخطاب الحكائي أو السردي كان يمثل ارهاصاً عند بعض النقاد القدماء، الذين أشاروا إلى الخبر – وإنْ كان بصورة يسيرة ـــــ في محاولة للكشف عن بنيته، ممهدين لنظرة متقدمة في القرن الخامس الهجري[٢]، وإن لم تأخذ ذلك المدى النقدي في مؤلفات من جاء بعدهم، وهو أمرٌ يسوّغ بأنَّهم كانوا منشغلين بجماليات الشعر بوصفه فن العرب الأول وديوانهم، والعلم الذي لم يصح لهم علم غيره، وصفوة البيان الذي شجعهم على عقد المقارنة بينه وبين القرآن الكريم، كما هو الحال في كتاب (إعجاز القرآن) للباقلاني (ت٤٠٣ه) لإثبات معجزة القرآن البيانية، متوسلين بالمقولات النقدية نفسها التي تمارس في الشعر، وهذا ما انسحب على نصوص الحديث النبوي، رغبة في إظهار بلاغة الرسول (ص) وقيم كلامه الجمالية، مع تنصيصهم واتفاقهم على أنَّ الأغلب الأعم من أقواله رويت بالمعنى !! وهذا ما أثبتته الروايات المختلفة للحديث النبوي في موضوع ما، وعن طريق الراوي نفسه، كما أنَّهم تناسوا الكشف عن بنية الحديث أو نسقه المعرفي والثقافي، واكتفوا ببيان أهلية الراوي ومعقولية النص وشذوذه.

وعوداً على بدء، فإنَّ الراوي يملك الصوت الخفي الذي لا يتجسد إلا من خلال ملفوظه، بوصفه الواسطة بين مادة القصة ومتلقيها[٣]، فهو(الشخص الذي يقوم بالسرد،

والذي يكون شاخصاً في السرد، وهناك على الأقل سارد واحد لكل سرد ماثل في مستوى الحكي بنفسه مع المسرود له الذي يتلقى كلامه، وفي سرد ما قد يكون هناك عدة ساردين لعدة مسرودٍ لهم أو لمسرودٍ واحد بذاته)[٤]، إذ يقوم بعملية سرد الأحداث، وتقديم الشخصيات، ورسم الإطار الزماني والمكاني المحيط بتلك الأحداث، فالقصة لاتتحدد بمضمونها فحسب، ولكن بالشكل والطريقة التي يُقدم بها ذلك المضمون[٥] .

وقد تعددت أشكال الراوي في الخطاب الحكائي، فتارة يكون أسماً متعيناً، وأخرى يتقنع بصوت أو يستعين بضمير ما[٦]، والمراد – هنا – ضمير الغائب، مرّة، في حال أنَّ الراوي يكون مفارقاً لمرويه غريباً عنه، لا يشكل جزءاً من حكايته، بل يبقى خارج الحدث، معتمداً على رؤية الراوي العليم، وأخرى ضمير المتكلم في حال أنْ يكون الراوي متماهياً في مرويه، حاضراً بوصفه أحدى الشخصيات المشاركة فيه أو المشاهدة لـه، وهذه من القضايا المهمة التي أثارها مبكراً (توماتشفسكي) عندما ميَّز بين نمطين من السرد، هما السرد الموضوعي، والسرد الذاتي[٧]،، وتبعه بعد ذلك (جان بويون)، مفصلاً القول في رؤية الراوي، مبيناً ثلاثة أنماط تتمثل في (الرؤية من خلف)، (الرؤية مع)، و(الرؤية من خارج)، وقد أشار لهما (تودوروف) بمقاله الموسوم (مقولات الحكي)[٨]، التي أقرها بعد ذلك (جيرار جينيت) في أبحاثه المتنوعة عن السرد، مقترحاً التمييز بين (الصيغة) و(الصوت)، أي بين (مَنْ يرى) و(مَنْ يتكلم)، مبتدعاً مصطلح (التبئير)، وفيه ميّز بين ثلاث حالات[٩] :

١- **التبئير صفر :** ويهيمن فيه الراوي العليم .

٢- **التبئير الداخلي :** ويبين وجهات نظر الشخصيات إزاء موقف واحد، ويكون السارد بعيداً عن وصف الشخصية البؤرية، ولا يشير إليها من الخارج .

٣- **التبئير الخارجي :** ويكون الشاهد فيه خارج عن الأحداث .

و(التبئير) يعد من التقنيات السردية المهمة في الكشف عن وجهة نظر الراوي من دون الدخول في دهاليز الأفكار والرؤى المؤسَّسة والموجَّهة من فكر سابق أو اعتقاد معين، فالمراد منه هو حصر معلومات الراوي حول ما يجري في الحكاية، إذ (إنَّ السرد يجري فيه من خلال بؤرة تحدد إطار الرؤية وتحصره)[١٠] .

ومن هذا المنطلق، فإنَّ أهمية الراوي، وموقعه في بنية النص تكمن في ضوء ما يقوم به من عملية سرد الأحداث، وتقديم الشخصيات وأفعالها، فتكون فاعليته بالنسبة إلى بقية العناصر السردية الأخرى، فاعلية مميزة[١١]، إذ (يأخذ على عاتقه سرد الحوادث ووصف

الأماكن وتقديم الشخصيات ونقل كلامها والتعبير عن أفكارها ومشاعرها وأحاسيسها، وبذلك يمكن القول أنّه الواسطة بين مادة القصة والمتلقي وله حضور فاعل لأنَّه يقوم بصياغة تلك المادة)[١٢]، وإنْ كان في كثير من الأحوال يوهم المروي له بأنَّ النص يحكي نفسه، وما عليه سوى نقل أو عرض الأحداث من دون أنْ يتدخل في تحليل نفسي للشخوص أو يعمد إلى إبراز فعل معين، أو يتوقف ليرصد أثر الفعل في الشخصية (وإنّما تقف الأفعال على قدم المساواة من حيث إنَّ كل فعل يؤدي وظيفته في النص)[١٣] .

لقد ارتبط الراوي بوصفه تقنية من تقنيات الخطاب الحكائي بالبناء الداخلي للحكاية، إذ يمثل بنية من بنياتها التي تتمحور حول العلاقات التي يقيمها الراوي نفسه مع شخصيات حكايته، من حيث العرض والتمثيل، ومن حيث استعماله بعض الوسائل أو التقنيات التي يتواصل بها مع مروييه[١٤] .

وعلى وفق ما سبق، وفي ضوء استقرائنا لنصوص الحديث النبوي، تبين لنا أنَّ الراوي يقدم مادته، مرة بوصفه شخصية من شخصيات الحدث، تشترك في إقامة عوده، وتسرد ما تراه وما تسمعه، وأخرى بوصفه رقيباً عليماً بكل شيء، يحكي أحداث روايته، بمعنى آخر كان لهذه النصوص نمطان من السرد هما (السرد الموضوعي) و(السرد الذاتي) .

١ - السرد الموضوعي

ويكون الراوي في هذا الشكل من أشكال السرد عالماً بكل شيء يتعلق بشخصياته، إذ يعتمد السرد الموضوعي على الرؤية الخارجية التي (تصف ما تراه، وتقدم الأحداث والشخصيات بحيادية وصفية، من دون أنْ تتبين حدود علاقة هذه الرؤية وهذا الراوي بمادة الرواية، ويسمى الراوي هذا بـ (الراوي العليم) الذي يوصف بأنّه يمتلك قدرة غير محدودة لكسب الأبعاد الداخلية والخارجية للشخصيات)[١٥]، فهو ينقل الأحداث ويرويها ويربط بينها وبين الشخصيات، ويعمل على كشف تلك العوالم الفاعلة في الأحداث فيقف إدراكه لتسلسل ما يرويه(ركناً مهماً في اختبار زاوية النظر، التي يصل منها السارد في استفاء طريقة سرد الأحداث، التي لم تتكلم بها نوعية الحدث وتنوعه وأخلاقيته، إنّما كيفية أدائه وطرائق توصيله)[١٦] .

ومن أمثلة السرد الموضوعي ما رُوي عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق، قال: ((اشتدت حالُ رجلٍ من أصحاب النبي (ص) فقالت له امرأته : لو

أتيت رسول الله (ص) فسألتَهُ، فجاء إلى النبي (ص) فما رآه النبي (ص) قال : مَنْ سَألنا أعطيناه، ومَنْ استغنى أغْنَاهُ اللهُ، فقال الرجل : ما يعني غيري، فرَجَعَ إلى امرأتِهِ فأعلمَهَا، فقالت : إنَّ رسول الله (ص) بَشَرٌ فأعلمَهُ فأتاهُ، فلمّا رآه رسول الله (ص) قال: من سألنا أعطيناه ومَنْ استغنى أغناه اللهُ، حتّى فَعَلَ الرَّجُلُ ذلك ثلاثاً، ثمَّ ذهب الرجلُ فاستعارَ مِعولاً ثمَّ أتى الجبلَ، فصعدَهُ فقطع حَطباً، ثُمَّ جاء به فبَاعَهُ بنِصف مُد من دقيق فرجع به فأكلَه، ثمَّ ذهب من الغد، فجاء بأكثر من ذلك فباعَهُ، فلم يزل يَعمل ويجمع حتى اشترى معولاً، ثمَّ جمعَ حتّى اشترى بَكرينِ وَغلاماً ثمَّ أثرى حتى أيسر، فجاء إلى النبي (ص) فأعلمَه كيف جاء يسألُهُ وكيف سَمِعَ النبي (ص) ، فقال النبي (ص) قلتُ لك : مَنْ سألنا أعطيناهُ ومَن استغنى أغناهُ اللهُ))(١٧).

هنا يتبين (الراوي العليم)، إذ أنَّ رؤيته تتسع، وأفق علمه يشتمل على كل ما دار بين شخصيات الحديث المتمثلة بـ (الرسول(ص) والرجل وزوجته)، كما أنَّ الراوي يعلم بما تخفي سرائر شخصياته، كما هو الحال في قول الرجل : (ما يعني غيري)، وبما تفكر، مع علمنا بأنّ (الراوي) خارج الحدث ولكنه مطَّلع على أفعال شخصياته، فيسرد ذلك بالتفصيل ليخبرنا بمجيىء الرجل وقبله حديث المرأة لزوجها، وتكرار هذا المجيىء مع سماع الرسول، ثم الذهاب إلى الجبل، واستحصال الرزق وبيعه والاستفادة منه، ثم تكرار هذا العمل إلى نهايته، ونتيجة لهذا السرد، فقد برزت شخصية الراوي بأنها شخصية مركزية تهيمن على مجرى الأحداث .

ومنه – أيضاً – ما رُوي عن الإمام علي بن الحسين : ((قال : مرّ رسول الله (ص) براعي إبل فَبعث يستسقيه، فقال : أمّا ما في ضروعها فصبوحُ الحيِّ وأمّا ما في آنيتنا فعبوقُهمُ، فقال رسول الله (ص) : اللّهمَّ أكثر مالَهُ وولدَه، ثم مرّ براعي غَنَم فبعث إليه يستسقيه فحَلبَ له ما في ضروعها وأكفأ ما في إنائهِ في إناء رسول الله (ص) ، وبعث إليه بشاةٍ وقال : هذا ما عندنا، وإن أحببت أن نزيدَك زِدناك ؟ قال: فقال رسول الله (ص) : اللهم أرزقه الكفاف، فقال له بعض أصحابه : يا رسول الله، دعوت للذي ردّك بدعاء عامتنا نحبُّهُ، ودعوت للذي أسعفَك بحاجتِك بدعاء كلُّنا نكرهه ؟ فقال رسول الله (ص) : إن ما قل وكفى خير مما كُثُرَ وأنهى : اللّهُمَّ أرزق محمداً وآل محمدٍ الكفاف)(١٨) .

التزم الراوي بالجانب الموضوعي، ولم يعلق هنا أو هناك، مع إطلاعه التام على الأحداث، من مرور الرسول(ص) إلى إرسال مَنْ يستسقي الرعاة، وسلوك كليهما وأقوالهما

إلى ما كان من دهشة بعض أصحاب الرسول(ص) من دعائه للراعيين، ومن ثــمَّ ينتهــي الراوي إلى قول رسول الله(ص) الذي من شأنه أنْ يبدد ما أُثير من دهشة واستغراب، وبذلك لا نجد أي أثر للراوي في سرد الأحداث، بل جعل النص هو الذي يســرد أحداثــه، وكــان الراوي بمثابة العدسة التي عكست الأحداث من دون أنْ يتدخل بها .

وكذلك ما روي عن محمد بن سعيد بن أبي وقاص عن أبيه: قال (استأذن عمــر بــن الخطاب على رسول الله (غ) وعنده نسوةٌ من قريش يُكلمنَهُ ويستكثرنَهُ عاليةٌ أصواتُهنّ فلمــا استأذن عُمَرَ بن الخطاب، قُمْنَ فبادَره الحجاب، فإذن له رسول الله (غ) ، فدخَل عُمَرُ ورسول الله (غ) يضحك، فقال: أضْحَكَ الله سِنتك يا رسول الله، فقال النبي (غ): عَجبتُ من هــؤلاء اللات كُنّ عندي، فلما سمِعنَ صوتَكَ ابتدرن الحجاب قال عُمر : فأنت أحــقُّ أن يَهَــيْنَ يــا رسول الله، ثمَّ قال عُمر : يا عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبْنَ رسول الله (غ) ؟ فقلن : نَعَم، أنت أفظٌّ وأغلظ من رسول الله (غ) ، فقال رسول الله (غ): إيهاً ابن الخطاب، والذي نفســي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً قطُّ إلا سلك فجّاً غير فَجّكَ)[١٩].

فالراوي يرصد ما جرى من أحداث عن رسول الله(ص) من دون أنْ يتدخل، فكأنّــه يلقي بنظره إلى ذلك المكان، فهو موجود وغير موجود في الوقت نفسه، والسرد هنا هو سرد لاحق بحسب ما صنفه النقاد البنيويون[٢٠]، فهو يسرد أحداثاً جرت في وقت ســابق ولهــذا يظهر صوت أو ضمير الغائب .

ومنه – أيضاً – ما رُوي عن أبن عباس قال : (أنَّ ضِماداً قَدِمَ مكة، وكــان مــن أزد شنوءة، وكان يَرقِي من هذه الريح، فَسَمِعَ سُفهاء من أهل مكةَ يقولون : إنّ محمداً مجنــون، فقال : لو أنّي رأيتُ هذا الرجلَ لعلَ الله يشفيه على يَدَيَّ، قال فلقِيَهُ، فقال : يا محمــد إنَّــي أرقى من هذه الريح، وإنَّ الله يشفي على يَدَيَّ مَنْ شاءَ، فهل لك؟ فقال رســول الله (غ): إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُهُ، مَنْ يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لَهُ، وأن محمداً عبدُهُ ورسُولُهُ، أما بعد)، قال فقال : أعِــد علــيّ كلماتك هؤلاء، فأعادهُنَّ عليه رسول الله (غ) ثلاث مرات، قال فقال : لقد سمعتُ قولَ الكهنة وقول السَّحرةِ وقول الشعراء، فما سمعت مِثلَ كلماتك هؤلاء، ولقدَ بلغن ناعوس البحر، قــال فقال : هات يَدَكَ أبايعك على الإسلام، قال فبايعَهُ، فقال رسول الله (غ) (وعلى قومك)، قال : وعلى قومي، قال فبعث رسول الله (غ) سريّةً غزوا بقومه، فقال صاحبَ السرية للجيش، هل

أصبتم من هؤلاء شيئاً ؟ فقال رجلٌ من القوم : أصبتُ منهم مِطهرةً فقال: رُدُّوها، فإنَّ هؤلاء قومُ ضماد)[٢١] .

نجد أنَّ الراوي في هذا الحديث لا يشكل جزءاً من حكايته، وإنَّما ظهر بوصفه راوياً عليماً، قد استتر بضمير الغائب، سارداً ما جرى من أحداث حصلت في الماضي، من دون أي حضور له في المادة الحكائية، متتبعاً وعارفاً بكل ما يدور في أذهان شخصياته، إذ بيّن من خلال سرده ما فكر به (ضماد) باتجاه الرسول (ص)، ذكر لنا ما كان من أمر السرية وأميرها، وقوم (ضماد) وعدم المساس بهم، فيبدو الراوي في السرد الموضوعي كاشفاً عن (العوالم السرية للأبطال دون أنْ تقف في طريقه سقوف أو حواجز)[٢٢]، متسللاً إلى أفكار شخصيات المادة الحكائية ورؤاهم.

٢ - السرد الذاتي

وهو مغاير لما عليه السرد الموضوعي، إذ نرى الراوي في هذا الشكل من أشكال السرد، يمثل جزءاً من المادة الحكائية، فهو(شخصية من شخصيات الرواية، يحكي عن نفسه وعن علاقاته بالشخصيات الأخرى)[٢٣]، ويعتمد هذا النوع على رؤية الراوي المشارك الداخلية، وتكون معرفته (أقل ممّا تعرفه أية شخصية، وهو يكتفي فقط بأنْ يصف لنا ما يرى ويسمع،أي أنَّه لا يستطيع أن يلج إلى قرارة نفس شخصياته)[٢٤] .

ويستعمل الراوي هنا ضمير المتكلم سواء أكان مفرداً أم جماعة، فهو أحد المتورطين فيما يرويه، كما أنَّ هذا النوع من السرد، يجعل راويه على اتصال وثيق بالحوادث (كونه أحد الأشخاص الذين جرت وقائعها لهم واكتووا بنارها، وهو شديد اللصوق أيضاً بالأشخاص الذين يتصارعون، أو يتحاورون في الحكاية، وهذا السارد يتحمل تبعات ما يرويه)[٢٥]، إذ إنَّ حضور الراوي بوصفه إحدى الشخصيات المشاركة، يمنح السرد جانباً كبيراً من الدقة والصدق .

ومن أمثلة السرد الذاتي في الحديث النبوي، ما رُوي عن عبد الله بن أبي قتادة قال: ((انطلق أبي عامَ الحُدَيبية، فأحرَمَ أصحابُهُ ولم يُحرم، وَحُدِّثَ النبي (ق) أن عدواً يغزوهُ، فانطلق النبي(ق) فبينما أنا مع أصحابِهِ يضحك بعضُهُم إلى بعض، فنظرْتُ فإذا أنا بحمارِ وحشٍ، فَحَمَلتُ عليه فطعنْتُهُ فأبثتُّهُ، واستعنْتُ بِهم فأبوا أن يَعينُوني، فأكلْنا من لَحْمِهِ، وخشينا أن نقتطع، فطلبتُ النبي (ق) أرفَعُ فَرَسي شأواً وأسيرُ شأواً، فلقِيتُ رَجُلاً من بَني غِفار في جوف الليل، قلتُ : أين تركت النبي (ق) ؟ قال : تركته بتعْهِن، وهو قائلٌ السقيا، فقلتُ : يا

رسول الله، إنَّ أهلَكَ يقرؤن عليك السلام ورحمة الله، إنَّهم قد خَشــوا أنْ يقتطعــوا دُونَــك، فانتظرهم، قلتُ : يا رسول الله، أصبتُ حمارَ وَحْش وعندي منه فاضلةٌ فقال للقــومِ : كُلُــوا وهم محرمون))[٢٦] .

يسرد لنا الراوي هنا ما جرى من أحداث بأسلوب ذاتي، بدءاً بما كــان بينــه وبــين أصحاب رسول الله(ص)، ثمَّ صيده للحمار الوحشي، وأكلهم من لحمه، ورحيله إلى الرسول ليُطلعَهُ على فعلهم، فهو يروي لنا على قدر ما تتكلم به الشخصيات الأخرى الحاضــرة فــي الخبر، من دون أي علم أو معرفة سابقة بما سيتكلمون به، ولم يكن هناك أي تعليق، إذ بقيت معرفة الراوي محدودة بما يَسمعه ويَراه، بمعنى آخر نلحظ هيمنة نفــس ســردي محــدود المعرفة، من دون أنْ نلمح أي قدرة للراوي على كشف ما تبطنه شخصيات روايته، أو مــا تكتنفه نوازعها النفسية.

ومنه أيضاً ما رُوي عن عبد الله بن عمرو، قال : ((أُخبر رسولُ الله (غ) أني أقــول: والله لأصومَنّ النهارَ ولأقومن الليل ما عشتُ فقلتُ له : قد قلتُهُ بأبي وأمي، قــال فإنّــك لا تستطيع ذلك، فَصُمْ وأفطِرْ، وقُمْ ونَمْ، وصُمْ من الشهر ثلاثة أيام، فإنَّ الحسنة بعشر أمثالهــا، وذلك مثل صيام الدهر، قلتُ: إنِّي أُطيق أفضلَ من ذلك، قال: فَصُمْ يوماً وافطِرْ يومَين، قلتُ إنّي أُطيقُ أفضل من ذلك، قال : فصُمْ يوماً وأفطِر يوماً، فذلك صيامُ داود (؛) ، وهو أفضل الصيِّام، فقلتُ : أني أطيقُ أفضل من ذلك،فقال النبي (غ): لا أفضل من ذلك))[٢٧] .

فبعد أنْ يخبرنا الراوي بما تناهى إلى أسماع رسول الله(ص) من خبره، سرد لنا مــا كان من حوار بينه وبين الرسول(ص) ، من دون أنْ يقدم أيَّة معومات أو تفسيرات، وإنمــا تبرز المعلومة أو التوجيه النبوي من خلال نوع السرد الذي دار بينهما، وهو لم يكن علــى شكل سؤال وجواب، بل عَمَد الراوي إلى تبرير فعله، ومحاولة إثبات قدرته، فكان الرســول يأمر بما أتاح له الله من معرفة قدرات الناس واختيار الأنسب، وهذا لم يعرفه الراوي إلاّ بعد أن نطقت به الشخصية المحورية وهو الرسول(ص).

وكذلك نجد هذا النوع من السرد، ما رواه جابر بن عبــد الله الأنصـــاري،إذ يقــول: ((خَرجَ رسول الله (ص) يُريدُ فاطمة (؛) وأنا مَعَهُ فلمّا انتهيْتُ إلى الباب وضَعَ يــده عليــه فَدَفَعَهُ ثُمَّ قال:السلام عليكم، فقالت فاطمةُ:عليك السلام يا رسولَ الله، قال : أدْخُلُ ؟ قالــت : أدخُل يا رسول الله، قال: أدخُلُ أنا ومَنْ معي ؟ فقالت: يا رسولَ الله ليس عليّ قِناعٌ، فقالَ : يا فاطمةُ خذي فَضلَ ملحفَتكِ فقنِّعِي به رَأسَكِ، ثم قال : السلام عليكم، فقالت فاطمةُ : وعليك

السلامُ يا رسولَ الله، قال : أدخلُ ؟ قالت : نَعَمْ، يا رسولَ الله، قال : أنا ومَنْ معي ؟ قالت : ومَنْ معك، قال جابر : فدخلَ رسولُ اللهِ (ص) ودخلتُ وإذ وجهُ فاطمة (عليهـــا الســـلام) أصفرُ كأنّهُ بَطَنُ جَرَادةٍ، فقال رسولُ الله (ص) : ما لي أرى وجْهَكِ أصفر، قالت : يا رسولَ اللهِ الجوُعُ، فقال (ص) : اللّهُمّ مُشبعَ الجَوْعةِ ودافعَ الضيعةِ أشبعْ فاطمة بنت مُحمَّــد، قـــال جابر: فوَ الله لنظرتُ إلى الدم ينحدرُ من قصاصها حتى عادَ وجهُهَا أحمرَ فما جاعـــت بعـــد ذلك اليوم))[٢٨] .

فالراوي هنا هو أحدى شخصيات الحديث، وهو يسرد ما يرى وما يسمع، ويحاول أنْ يصف ما يراه لتأكيد حضوره، وتوثيق روايته، من دون أنْ يشارك في الحوار الذي دار بين الرسول(ص) وابنته فاطمة، وهما الشخصيتان الرئيستان فيه، فجاء السرد بحسب ما تكلمـــت به هاتان الشخصيتان، في ضوء رؤية الراوي الداخلية التي بيَّنها عندما وصف لنـــا وجـــه (فاطمة) قبل أنْ ينقل لنا قول الرسول أو سؤاله عمّا يراه في وجهها .

إذنْ، يمكننا أنْ نقول، إنَّنا نستطيع أن نتلمس بكل دقة ووضوح هذا التعارض التقليدي بين الرواية بضمير الغائب وبين الرواية بضمير المتكلم، بمعنى آخر بين السرد الموضوعي والسرد الذاتي في الحديث النبوي،وهذان النوعان، قد شغلا مساحة واسعة منه، فكشفا عـــن راوٍ غريب لا يمت بأية صلة للأحداث التي كان مسرحها حيثما يكون الرسول الكريم (ص) خلا أنَّ الراوي سمع فحواها فرواها، هذا من جهة، وعن راوٍ متضمن في الحكاية، قد يكون مشاركاً بشكلٍ يتماهى فيها مع الأحداث، وقد يكون شاهداً، من جهة أخرى، فهو بمثابة العين التي تنقل ما يجري أمامها، والأذن التي تنقل ما تسمعه من كلام، مـــن دون أن تتجـــاوز أو تتخطى حدودها،مع الإقرار بأنَّ الراوي في الحديث النبوي يمتاز بإنحيـــازه الظـــاهر إلـــى الشخصية الرئيسة في روايته، حتَّى وإنْ بالغ في تمثيل دور(ألإله الذي يقلِّـــم أظـــافره فـــي صمتٍ ولامبالاة)[٢٩]، منطلِقاً من احترام المقدس.

وظائف الراوي

من البديهيات في طبيعة النص الحكائي، أنَّه لا يمكن تصور حكاية من دون أنْ يكون هناك راوٍ، فالحوادث تعجز في التعبير عن نفسها بنفسها، لذا يستوجب حضور الراوي، الذي يعد محور الرواية، فلا يمكن الاستغناء عنه؛ لأنَّه المتلفظ الحاكي للقصة، والمؤســس لبنيـــة الخطاب، وهو يمثل بنية من بنيات الحكاية شأنه في ذلك شأن الشخصية، والزمان والمكان، فـــ ((الراوي قناع من الأقنعة العديدة التي يتستر وراءها الروائي لتقديم عمله))[٣٠]، وعلـــى

وفق ما يقوم به من وظائف يتم تحديد موقعه في الخطاب الحكائي، وهذا مـا كشـف عنـه (جيرار جينيت) وأزاح الستار فاستوت عنده وظائف للراوي[٣١]، تتنوع بحسب ما يقوم بـه من أداء يتمكن من خلاله عرض حكايته .

ومن خلال استقرائنا لنصوص الحديث النبوي، نلحظ أنَّ للراوي وظائف قد تجلَّت في ضوء مايقوم به من أداء، أو مهمة سردية تمثلت في :

١- الوظيفة السردية :

وفي ضوء هذه الوظيفة، يحاول الراوي أن يتوخى كل ما هو مناسب للمقام والمقـال، كما أنّه يعمد إلى سرد الأحداث التي يمكن أن يبين فيها حكم شيء ما أو تقريره، أو يوجه فيه إلى السلوك الملائم، أو يكشف عن أمرٍ عظيم يتعلق بما هو خارج أفق العقل البشري.

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة : (قال : صلى رسول الله (غ) ، أحدى صلاتَي العَشي، فصلى ركعتَينِ، ثم سلم، وأتى خشبة معروضة في المسجد، فقال بيده عليها، كأنّه غضـبان، وخرجتُ السرعان من أبواب المسجد، قالوا : قصرت الصلاة، قال : وفي القوم أبـو بكـر وعمر، فهاباه أنْ يكتماه، وفي القوم رجل في يديه حَول، يسمى ذا اليدين، فقال : يا رسـول الله : أنسيت أم قصرت الصلاة ؟ فقال : لم أنسَ، ولم تُقْصَرِ الصلاة، قال : كمـا يقـول ذو اليدين ؟ قالوا : نعم، فجاء، فصلى الذي ترك، ثم سلم، ثمَّ كبّر، فسجد مثل سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه وكبر)[٣٢] .

هنا، جعل الراوي سرده للأحداث مقروناً بوصف ما رأى وما سمع، مبيناً حكماً فقهياً يتعلق بـ (سجدتي السهو)، وأراد أنْ يثبت وجوده في مجريات الحدث معبّراً عن ذلك بقوله (خرجت السرعان من أبواب المسجد)، وهذا يوحي بأنَّ الأحداث كانت تجري أمام عينيـه، والحديث أُنجز من خلال ثلاث متواليات: الأولى ذكر ما قام به الرسـول(ص) مـن فعـل (الصلاة)، والثانية اندهاش مَنْ كان حاضراً ومأموماً من الكيفية التـي أتـى بهـا الرسـول صلاته، حتى أنّهم ظنوا أن أمراً نزل فيها، والثالثة هو إتمام الصـلاة والإتيـان (بسـجدتي السهو)، وهو بذلك أعاد التوازن إلى الحالة الطبيعية، وعلى وفق هذه الإعادة استطاع الراوي غلق الحدث وإتمام سرده، ويُلحظ على هذا الحديث، أنَّه جمع الأنواع الثلاثـة التـي تؤلـف المنظومة الحديثية وهي الفعل، والقول، والحكم .

ومنه – أيضاً – ما رواه أنس بن مالك : (مرَّ أبو بكر والعباس (ب)، بمجلـس مـن مجالس الأنصار، وهم يبكون، فقال : ما يبكيكم، قالوا : ذكرنا مجلس النبي (غ) منّا فـدخل

على النبي (غ) فأخبره بذلك، قال : فخرج النبي (غ) وقد عَصَبَ على رأسه حاشية بُرد، قال وصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال : أُوصيكم بالأنصار، فإنَّهم كرشِي وعَيبتي، وقد قضوَا الذي علنرى أنَّ هذا الحديث كسابقه، قد أُلِّف من ثلاث متواليات، الأولى مرور أبي بكر والعباس، ورؤيتهم للأنصار وبكاءَهم، ومعرفة السبب، والثانية اخبار الرسول(ص) بما رأيا، والثالثة خروج النبي وخطبته التي تضمت وصيته بالأنصار، وبه أُغلق الحديث ليكون رد الجميل لمَنْ فعل الجميل .

ومما نجده في المثالين السابقين أنَّ الراوي قد تعددت وظائفه، فكل مثال يتضمن أكثر من وظيفة، ولكننا عمدنا إلى بيان وظيفة واحدة، ليتسنى لنا بيان الوظائف الأخرى بحسب ورودها في الأمثلة الأخرى .

٢- الوظيفة التنسيقية أو التنظيمية :

وهنا يقوم الراوي بتنظيم خطابه السردي ومجريات أحداثه بشكل مترابط، حتى لا يتبين الخلل أو التشتت في سرد الخبر[٣٣]، إذ يبين تضاعيفه وتعالقاته، وقد توخى رواة الأحاديث هذا الجانب بشكل كبير، فهم يحاولون بيان ما يجري داخل الرواية من أحداث بصورة متتالية ومرتبة، لا نجد تداخلاً من هنا ومن هناك؛لأنَّ راوي الحديث حريصٌ على بيان قول الرسول(ص) وفعله، فيأتي الخبر مشتملاً على دقائق الأمور، بسكناته وحركاته.

وما يبين ذلك على سبيل المثال – لا الحصر – ما رواه موسى بن طلحة، قال:((حدثنا أبو أيوب : أنَّ أَعرابياً عرضَ لرسولِ الله (غ) وهو في سَفَرٍ، فأخَذَ بخطام ناقتِهِ أو بزمامها، ثم قال : يا رسول الله : أو يا مُحمّد أخبرني بما يُقربني من الجنةِ وما يُباعدني من النساء، قال كفَّ النبي (غ) ثم نظر في أصحابه، ثم قال : لقد وفِّقَ أو لقد هُدِي، قال : كيف قُلت؟ قالَ فأعاد، فقال النبي : تعبُدُ اللهَ لا تشرك به شيئاً، وتقيمُ الصلاة وتؤتي الزكاة، وتَصِلُ الرحِمَ، دَعِ الناقةَ))[٣٤] .

ما يمكن أنْ نستشفه من هذا الحديث، أنَّ الراوي عَمَدَ إلى بيان كل ما رآه وسمعه من المتحاورَين، بدءاً بما قام به الأعرابي من إمساكه بزمام الناقة إلى ما قام به الرسول(ص) من النظر إلى الصحابة، ثم السؤال، وبعده إعادته من الأَعرابي، وطلب الرسول(ص) منه ترك الناقة، من دون أنْ يكون هناك أمرٌ يخل بالرواية أو يشتتها، وكأنَّ الراوي أراد أن يخلق مشهداً متسلسل الأحداث أمام مرآى المروي له، فلم يكن للراوي من دور في أحداث روايته، وإنَّما أقتصر دوره على رواية الحديث بحسب تتابع أحداثه.

ومن ذلك ما رواه يحيى بن أبي إسحاق : ((قال : قال لي سالم بن عبد الله : ما لا تسرق ! قلتُ: ما غُلظ من الديباج وخَشُن منهن قال : سمعت عبد الله يقول : رأى عمر على رجل حُلة من استبرق، فأتى بها النبي (ص) فقال : يا رسول الله اشترِ هذه فالبسها لوفَد الناس إذا قدموا عليك، فقال: إنّما يلبس الحرير من لا خَلاقَ له، فمضى في ذلك ما مضى، ثم إنّ النبي (ص) بعثَ إليه بحلة، فأتى بها النبي (ص) فقال : بعثتَ إليّ بهذه، وقد قلت في مثلها ما قلت، قال : إنّما بَعثتُ إليك لتُصيب بها مالاً، فكان ابنُ عمر يَكرَهُ العَلَم على الثوب لهذا الحديث))[٣٥] .

هنا نجد الراوي قد أدار مجريات الأحداث بشكلٍ استطاع أن يربط بين أكثر من حدث، فرأسُ الحديث سؤالٌ عن ماهية شيءٍ ما وهو (الحرير)، ثم ربطه بما جاء من خبر الرسول(ص) وعمر، وبعد انقضاء مدة من الزمن، وحصول حدثٍ مشابهٍ ومساوقٍ لما قبله، أتاح للراوي فرصة أن يربط الأخير مع ما سبقه فجاء الحديث متناسقاً منظماً لا خلل فيه، مفصحاً عن حكم أو تقرير من الرسول(ص) في هذا الشأن .

٣- الوظيفة التعليقية

وهو ما نجده من عبارات تعود إلى الراوي لتفسير كلمة ما أو وصف حال أو هيأة ما[٣٦] داخل الخطاب السردي .

وما أوردته الأحاديث النبوية في بيان هذه الوظيفة من أمثلة أخذت مساحة كبيرة من بنية ذلك الخطاب، ومنه ما رواه أبو هريرة ((أنَّ رجلاً من بني فزارة أتى النبي (غ) فقال : يا نبي الله، أنَّ امرأتَهُ ولدت غلاماً أسود، وكأنّهُ يُعرِّض أن ينتفي منه، فقال له رسول الله (غ):ألك إبل؟ قال : نعم، قال: ما ألوانها؟ قال: حُمْرٌ، قال : فيها ذودٌ أورَقُ ؟ قال : نعم فيها ذودٌ أورق ، قال : ومما ذاك؟ قال : لعلّه نَزَعَهُ عِرْقٌ، قال رسول الله (غ): وهذا لعلّه يكون نَزَعه عِرْقٌ))[٣٧] .

نجد في هذا الخبر أنَّ الراوي توقف عن سرده، ليبين غاية سؤال الرجل، وذلك بقوله (وكأنّه يُعرِّض أن ينتفي منه)، وهي عبارة تلخص للمتلقي ما جاء بعد ذلك من تفصيل، إذ عرف المتلقي أو المروي له أنَّ الرجل في محل شكٍّ أو طعن في شرف امرأته، لاندهاشه أو استغرابه من ولادة غلام أسود، وهذا ما يمكن فهمه من تعليق الراوي، من أنَّ الرجل كان بخلاف ما للغلام من لون .

ومنه – أيضاً – ما رواه عروة: ((أنَّ النبي (ص) ركبَ على حمار إكاف على قطيفة فَدَكية، "وأردَفَ أسامة وراءهُ، يعودُ سعد بن عبادة، قبل وقعةِ بدر"، فسار حتى مرَّ بمجلس فيه عبد الله بن أبي سلول، وذلك قبل أن يُسلمَ عبد الله، وفي المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غَشَيتِ المجلس عَجاجةُ الدابة خمَّر عبد الله بن أُبي أنفه بردائهِ، قال: لا تغبروا علينا، فسلم النبي (غ) ووقف ونَزل فدعاهم إلى الله، فقرأ عليهم القرآن، فقال له عبد الله بن أبي : يا أيها المرءُ، إنَّه لا أحسن مما تقولُ إن كان حقاً، فلا تؤذنا به في مجالسنا، وأرجع إلى رَحْلِكَ فمَنْ جاءَك منا فاقصصْ عليه، قال ابنُ رواحة : بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإنّا نحبُّ ذلك، فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي (غ) يُخفِّضهم حتى سكنوا، فركَبَ النبي (غ) وابنه حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له : أي سعدُ، ألم تسمع ما قال أبو حُباب – يريدُ عبد الله بن أُبي – قال سعد: يا رسول الله أعف عنه واصفحْ، فلقد أعطاك الله ما أعطاك، ولقد اجتمع أهل هذه البُحيرةِ على أنْ يتِّوجوه فيُعصبِّوه، فلما ردَّ ذلك بالحق الذي اعطاك الله شَرِق بذلك، فذلك الذي فعل به ما رأيت))[٣٨] .

تضمن هذا الخبر تعليقات عديدة للراوي ابتداءً من قوله (يَعودُ سعد بن عبادة قبل وقعة بدر) وتعليقه على ما ضم المجلس من أشخاص قد تنوعت مشاربهم بين مسلمين ومشركين ويهود، وعبد الله بن رواحة، ثمَّ قوله (يريد عبد الله بن أبي) فكانت هذه التعليقات توضح ما دار بين الرسول (ص) وعبد الله بن أُبي، فالراوي من خلال وظيفته هذه، حاول أن يُعرف بمقام شخصياته ويشير إلى مكانتها وحظها عند قومها .

ومنه – أيضاً – ما رواه أنس، قال : ((قدم النبي (غ) المدينة فنزل على المدينة في حيٍّ قال لهم بنو عوف، فأقام النبي (غ) فيهم أربع عشرة ليلةً، ثم أرسل إلى بني النجار فجاءوا متقلدي السيوف كأنّي انظرُ إلى النبي (غ) على راحلته وأبو بكر ردِفه، وملأ بني النجار حَوله، حتى ألقى بفناء أبي أيوب، وكان يحبُّ أن يُصلي حيث ادركتْه صلاة، ويصلي في مرابض الغنم، وأنّه أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى ملأ بني النجار، فقال : يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا، قالوا : لا والله نطلب ثمنَهُ إلاَّ إلى الله، فقال (أنس) : فكان فيه ما أقول لكم قبور المشركين، وفيه خَرِب، وفيه نخلٌ، فأمر النبي (غ) بقبور المشركين فنبشت القبور فسويت، وبالنخيل فقُطِع، فصفّوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا هذه الحجارة، وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون، والنبي (غ) معهم وهو يقول :

اللّهمَّ لا خيرَ إلاّ خيرُ الآخرة فاغفِر للأنصار والمهاجرة))[٣٩] .

حاول الراوي أنْ يسرد حكايته بذكر بعض التفاصيل التي كان من الممكن الاستغناء عنها، ولكنه أراد تمرير تعليقاته المتضمنة والمتداخلة مع هذه التفاصيل فمثلاً من الأمور التي ذكرها أنَّ الرسول ألقى بفناء أبي أيوب، وجاء بتعليق له مباشرة فذكر سُنةً لرسول الله (ص) إذ كان يحب أن يصلي حيث أدركته الصلاة، حتى وإنْ كان هذا الشيء في مرابض الغنم، ثم استرسل بسرد الأحداث ليصل إلى تعليقه الآخر وهو نبش قبور المشركين، بمعنى آخر إنَّ الراوي كان يروم من وراء ذكر هذه القصة تمرير أحكام فقهية تشريعية، وبهذا استطاع أنْ يؤدي وظيفته التعليقية، من دون أنْ يحصل خلل في سرد الأحداث .

ومنه ما رواه قتادة عن أنس عن أبي طلحة: ((أنَّ النبي(ق) أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فقُذفوا في طوى من أطواء بدر، خبيث مخبَّث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليالٍ، فلمّا كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته، فشُدَّ عليها رحلُها، ثُمَّ مشى واتَّبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلّا لبعض حاجته، حتّى قام على شَفَةِ الرّكي، فجعل يُناديهم بأسمائهم، وأسماء آبائهم: يافلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان، أيسرُّكم أنَّكم أطعتم اللهَ ورسولَهُ؟ فإنّا وجدنا ماوعدنا ربُّنا حقاً، فهل وجدتم ما وعدَ ربُّكم حقاً؟ قال عمر: يا رسول الله ما تُكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله(ق): والذي نفس محمّدٍ بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، قال قتادة: أحياهم الله حتّى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقيمةً وحسرةً ونَدَماً))[٤٠].

تولّى الراوي هنا سرد وقائع هذا الحديث، بحسب ما أفرزته وجهة نظره، التي كشفت عنها بعض تعليقاته، المتناثرة على مساحة النص، بدءاً بوصفه لذلك المكان الذي قُذف فيه القتلى، إلى ما ذكره من إقامة الرسول(ص) المعتادة عند ظهوره على قومٍ ما، وهي معلومة تمنح المروي له معرفة أكثر بالشخصية الرئيسة، على الرغم من أنَّ هذه الشخصية معرَّفة للكل، إلاّ أنَّ ظهور معلومة هنا أوهناك، من شأنها أنْ ترسِّخ صفات تلك الشخصية عند المروي له، وأنهى الراوي روايته بتعليقٍ آخر، حاول فيه أنْ يفسر جواب الرسول(ص) لعمر، هذا الجواب الذي جاء بصيغة الجمع ليشمل الكل، وكان بإمكان الراوي غلق الحديث عند قول الرسول(ص)، ولكنَّه عمد إلى ذلك نظراً لهيمنته على مجمل ما رواه .

٤ – الوظيفة الإبلاغية

ويقوم الراوي بحسب هذه الوظيفة بإيصال رسالة ذات مغزى أخلاقي أو إنساني إلى المروي له[٤١]، أو تكون ذات مغزى سياسي، وهذا ما عمدت له بنية الحديث النبوي في تشكيلاتها المعرفية كلها.

ومن ذلك ما رواه أبو شريح العدوي لعمرو بن سعيد، وهو يبعث البعوث إلى مكة، إذ قال:((إئذن لي أيَّها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله (غ) للغد من يوم الفتح، فسَمِعَتْهُ أُذنايَ، ووعاهُ قلبي، وأبصرتْهُ عيناي حين تكلّم به، إنَّهُ حمد الله، وأثنى عليه ثم قال : إنَّ مكّة حرّمها الله، ولم يُحَرِّمْها الناسُ، فلا يحَل لامرئ يؤمن باللهِ واليوم الآخر أن يسفكَ بها دماً، ولا يَعضُدَ بها شجرةً، فإنْ أحدٌ ترخَّصَ فقتال رسول الله (غ) فقولوا له : إنَّ الله أذن لرسوله (غ) ، ولم يأذن لكم، وإنّما أذن لي ساعة من نهارٍ، وقد بدت حُرْمَتُها اليوم كحرمتها بالأمس، وليُبلِّغ الشاهد الغائب، فقيل لأبي شُريح : ما قال لك عمرو ؟ قال: أنا اعلمُ بذلك منك يا أبا شريح إنَّ الحَرَمَ لا يعيذُ عاصياً، ولا فاراً بخربةٍ))[٤٢] .

أراد الراوي في هذا النص إيصال رسالة مفادها (حرمة مكة)، فعمد إلى ذكر الحدث مع أركان الحكاية من زمانٍ ومكان، وآثار بذكره عبارة (فسمعتْه أُذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي)، قضية مهمة، وهي تأكيدٌ على حضوره، بوصفه جزءاً من هذه الحكاية، وأحد المسلمين الشاهدين لما حصل، ممّا أوجب عليه تبليغ الآخرين.

ومنه – أيضاً – ما رواه عبد الله بن حنين : ((أنَّ عبد الله بن العباس والمِسْوَر بن مَخْزمة اختلفا بالأبواء، فقال عبد الله بن عباس : يَغسلُ المُحرمُ رأسَه، وقال المِسْور : لا يَغْسِلِ المُحرمِ رأسه، فأرسلني عبد الله بن العباس إلى أبي أيوب الانصاري، فوجدتُهُ يغتسل بين القرْنين، وهو يُستر بثوبٍ، فسلمت عليه، قال : مَنْ هذا ؟ فقلتُ : أنا عبد الله بن حنين، أرسلني إليك عبد الله بن عباس، أسألك : كيف كان رسول الله (غ) يَغسلُ رأسَهُ وهو مُحرِم ؟ فوضع أبو أيوب يده على الثوب فطأطأه،حتى بدا لي رأسَهُ، ثمَّ قال لإنسان يَصُبُّ عليه : أصبُبْ، فصبَّ على رأسه، ثم حرَّكَ رأسه بيديه، فأقبل بها وأدبر، وقال : هكذا رأيتُهُ (غ) يفعل))[٤٣] .

الراوي هنا قام بإيصال حكم شرعي، وكان بإمكانه أنْ يذكر الحكم، من دون أنْ يقوم بسرد الأحداث التي جرت بين ابن عباس والمِسوَر، ولكنه عمد إلى ذلك ليوثق روايته، بوصفه جزءاً من الأحداث التي دارت، مما أتاح له أنْ يُبلِّغ بما عرفه، كما أنَّ الراوي لم

يذكر عودته إلى مَنْ أرسله، لأنَّ سرد الأحداث، اغنى في ضوء وظيفته الإبلاغية، والحديث أُنجز من خلال ثلاث متواليات: الأولى، اختلاف ابن عباس مع المسور بن مخرمة، والثانية إرسال ابن عباس لعبد الله بن حنين، ومجيىء الأخير إلى أبي أيوب الانصاري، والثالثة رواية أبي أيوب الانصاري لفعل الرسول (ص) ، وهذا الأمر أدى إلى تعدد الرواة، وتنوع أشكالهم، من راوٍ ثانٍ تمثّل في (عبد الله بن حنين) الذي كان متماهياً مع مرويه في المتواليتيَنِ الأولى والثانية، ومفارقاً لمرويه في الثالثة، بوصفه غريباً عنها وبهذا اكتسبت صفة أخرى وهي كونه أصبح مروياً له، إلى راوٍ أول، خُلق من رحم المتواليتين الأوليَينِ، وكان متماهياً مع مرويه، بوصفه شاهداً عليه، كما أنّ حضور الراوي الأول على مسرح الأحداث، منح الراوي الثاني، زخماً اعتبارياً لأداء وظيفته الإبلاغية، وهي إيصال الحكم الشرعي .

ومنه – أيضاً – ما روي عن أبي عبد الله الصادق ، قال: ((جاء الفقراء إلى رسول الله (ص) ، فقالوا : يا رسول الله، إنَّ الاغنياء لهم ما يتقون، وليس لنا، ولهم ما يَحُجُّونَ، وليس لَنا، ولهم ما يتصدقون وليس لنا، ولهم ما يُجاهدون، وليس لنا، فقال رسول الله (ص) : مَنْ كبَّر الله عزّ وجل، مائة مرةٍ، كان أفضل مِن عِتق مائة رقبةٍ، ومَنْ سبّح الله مائةَ مرةٍ، كان أفضل مِن سياق مائةِ بَدَنَةٍ، ومَنْ حَمِدَ الله مائةَ مرةٍ، كان أفضلِ من حُملان مائةِ فَرس في سبيل الله وسُرُجها ولَجُمِهَا ورُكُبِها، ومَنْ قال : لا إله إلاّ الله مائةَ مرةٍ، كان أفضل الناس عملاً ذلك اليومَ إلاّ مَنْ زادَ، قال : فبلغَ ذلك الاغنياء فصنعوه قال : فعادَ الفقراء إلى النبي (ص) ، فقالوا : يا رسول الله، قد بلغ الأغنياء ما قلت فصنعوه، فقال رسول (ص) : ذلك فضلُ الله يؤتيه مَنْ يشاءُ))(٤٤) .

يُلحظ أنَّ الراوي في هذا النص مفارق لمرويه، إذ لم يكن جزءاً منه، لذلك حاول أنْ يستعمل ضمير الغائب للخلاص من وطأة تدخله في مجريات الأحداث، ومع هذا يمكننا أن نتلمس تدخلاته في ثلاثة مواضع، الأول كان في بداية النص، عندما أخبر بمجيىء الفقراء إلى الرسول (ص) ، والثاني اخباره أنَّ الأغنياء عرفوا بذلك فصنعوه، أما الثالث فهو الإخبار بعودة الفقراء مرة ثانية إلى الرسول (ص) ، وهذا يعني أنَّ الراوي أورد مجموعة من الأحداث المتداخلة، مختزلاً الزمن بين حدث وآخر، واضعاً بداية لكل واحد منها، فالحدث الأول انتهى بذهاب الفقراء من عند الرسول (ص) وهم راضون، والحدث الثاني كانت نهايته بصنع الأغنياء بعد سماعهم للخبر، أما الحدث الثالث فهو يتمثل بجواب الرسول (ص)

للفقراء عند عودتهم إليه مرة أخرى، وهذا بمجمله أدى إلى منح الراوي الفرصة في أداء وظيفته الإبلاغية .

٥- الوظيفة التوثيقية :

وهذه الوظيفة تتجلى في ضوء ما يقوم به الراوي من إثباته للمصدر الذي يكون وعاء معلوماته(٤٥)، أو في بعضها يكون شاهداً معه لتوثيق خبره .

ويبرز النوع الأول لهذه الوظيفة من خلال سلسلة السند التي ذكرنا في موضع سابق من هذه الدراسة أهميتها في تشكيل نص الحديث النبوي، بوصفها جزءاً لا يتجزأ من بنيته .

أمّا النوع الآخر فهو قيام الراوي بذكر الشاهد الآخر، ليؤكد به روايته ويوثقها، ومن ذلك، ما رواه قيس بن عُباد، قال ((انطلقت أنا والاشتر إلى عليّ فقلنا : هل عهد إليك نبي الله (غ) شيئاً لم يعهده إلى الناس عامة ؟ قال : لا، إلا ما في كتابي هذا، قال : وكتابٌ في قِراب سيفه، فإذا فيه (المؤمنون تكافأ دماؤهم، يدّ على من سواهم ...)))(٤٦).

هنا نجد أنَّ الراوي قد ذكر شخصاً آخر معه في روايته، فهو يذهب إلى اثباتها وتأكيدها، ولهذا ذكر (الاشتر)، ويرمي من وراء ذلك إلى قطع الطريق عمن يشكك في روايته،وبذلك أحاط النص، على قدر استطاعته، بنوع من المصداقية، والقبول الحَسن .

ومنه – أيضاً – ما رواه عبد الله بن عمر ((إنّ رسول الله (غ) دّخَلَ الكعبة وأسامةُ ابن زيدٍ وبلالٌ وعثمانُ بن طلحة الحَجبيّ، فأغلقها عليه ومكث فيها، فسألتُ بلالاً حين خرج، ما صَنَعَ النبيُّ (غ) ؟ قال جَعل عموداً عن يساره وعموداً عن يَمينهِ وثلاثة أعمدةٍ وراءَهُ، وكان البيتُ يومئذ على ستةِ أعمدةٍ، ثمَّ صلّى))(٤٧).

مما لا ريب فيه أنَّ الراوي في هذا الحديث أراد أن يوثق روايته فأتى على ذكر ثلاثة من الصحابة، وكان بإمكانه أن يذكر واحداً منهم وهو المحاور (بلال) الذي بنى حواره معه وأجاب عن سؤاله، ولكنه ذكر الآخرينِ، توخياً منه للإعلاء من شأن روايته ولإثبات مصداقيتها .

وكذلك منه ما رواه أبو مسعود الانصاري : ((قال أتانا رسولُ الله (غ) ونحن في مجلس سَعْد بن عبادَة، فقال لَهُ بشيرُ بن سعد : أمَرنَا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك ؟ قال فسكت رسول الله (غ) ، حتى تمنينا أنّه لم يسأله، ثم قال رسول الله (غ): قولوا : اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم ...))(٤٨) .

الراوي هنا ذكر أكثر من شاهد لإثبات ما رواه من حديث، فكان سعد بن عبادة، وبشير بن سعد، شاهدين على ذلك، كما أنه في ذكره لعبارة مجلس سعد أشارة إلى أن هناك عدداً من الحضور الذين رأوا جواب رسول الله(ص) وسمعوه وهو مما يؤكد مصداق ما رواه .

المروي له

يعد المروي له من المكونات الرئيسة في البنية السردية، فهو(الشخص الذي يُسرَد له والمتوضع أو المنطبع في السرد)[٤٩]، وبه تستكمل العملية الإرسالية للسرد المتكونة من (الراوي والمروي والمروي له)، فهو يقع على المسار أو المستوى القصصي الذي يقع فيه السارد[٥٠]، الذي به يتحقق وجود الرواية، فيعمل على نقل الوقائع أو الأحداث، ويحاول أنْ يقدمها في قالب لغوي سواء أكان شفاهياً أم كتابياً ومن ثمَّ فهو يعبر عن تلك الأفعال والأحداث، التي تكون عاجزة عن التعبير عن نفسها فيتطلب ذلك وجود من يتلقى هذا الخطاب الذي يؤطرها وهما – أي الراوي والمروي له – يمثلان قطبي أو الخطاب السردي،والمسافة بينهما يمثلها (المروي)، الذي يكون بدوره محل الإنجاز الفعلي لكليهما،وهو ما أُطلق عليه في الدراسات السردية بـ (الترهين السردي)، وقد عرفه بنفسـت في نطاق المفهوم اللساني بأنَّه : (الفعل الكلام المتفرد دائماً والذي بواسطته يرهن المتكم اللسان (القدرة) إلى كلام (انجاز) ، وحين تم نقل هذا المفهوم إلى السرديات – وبخاصة عند جينيت – لإثبات ذلك للقصة أو الحكاية، من خلال فعل السرد، أي الصوت السردي)[٥١] أو العلاقة بين الراوي والمروي له.

وقد ذهب بعض المشتغلين في السرد إلى أنّ للمروي له ثلاثة وجوه، تتجاوز من خلال مستويي الحكاية والقصة،أولها، المروي له – الشخصية – الذي يضطلع بدور في الحكاية – وهذا مضمّن في الحكاية – وأمّا ثانيها فهو مروي له مستدعي، يحيل على قارئ غفل، دون هوية حقيقية، يتوجه إليه الراوي أثناء قصه، وهو ليس شخصية في الحكاية ولا القارئ المفترض في النص وإنّما هو تعلة تستعمل للفت انتباه القارئ ورسم أفق انتظار مخصوص، أما الوجه الثالث فهو (مروي له ممحو)، لا يوصف ولا يسمى إلا أنَّه حاضر ضمنياً من خلال ما يفترضه الراوي من معرفة وقع لدى متلقي نصه[٥٢]، وهذا يعني أنَّ للمروي له أهمية لا تقل عن أهمية الراوي فحضوره يتراءى عياناً كان ذلك أم ضمنياً،(فبمجرد أن تعلن ذات التلفظ عن نفسها في النص السردي، ومنذ الصفحة الأُولى، تنبعث في

الحين نفسه ذات أُخرى مقابلها هي المسرود له، وحضور هذا المقام ضروري في النص السردي التخييلي، نظراً إلى كون هذا النص يعتبر رسالة من المفروض أنْ يكون لها باعث هو المرسل، ومتقبّل هو المرسل إليه)[٥٣]، وقد أكد ذلك أحد الباحثين في دراسته للمروي له، على أهمية وجوده في نطاق تحقيق السرد، بقوله ((لا يتحقق أي سرد في غياب المروي له))[٥٤] .

ومن منطلق أهمية المروي له، نلحظ أنَّ الحديث النبوي، قد اشتمل على هذا الركن بوصفه عملية اخبارية متكاملة، وظهر فيه أكثر من وجه إلاّ أنّ الوجه الأبرز في الحديث النبوي للمروي له، هو كونه يحمل صفتين هما الراوي والمروي له، فنقل الحديث لا يمكن اقتصاره على الراوي الأول؛ لأنَّ كل الرواة المتوسطين بين المحدّث والمتلقي الأخير هم مروي لهم ورواة في الوقت نفسه، فالسامع أحد القائلين[٥٥]، كما أنَّ المروي له لا يتمثَّل في نمطية واحدة، بل يكون تارة مروياً له واحداً، وأخرى متعدداً، وفي هاتين الحالتين تتفاوت ملامحهم بحسب مستويات حضورهم في النص، من مروي له يشاهد ويراقب إلى مروي له مشارك في بناء الحدث أو الحكاية[٥٦]، وقد يكون المروي له غير مشارك.

ومن ذلك ما رواه عبد الله بن معقَل قال : ((جلستُ إلى كعب بن عَجْرَةَ (ا)، فسألتُهُ عن الفدية، فقال : نزلت فيَّ خاصة وهي لكم عامة، حُمِلْتُ إلى رسولِ الله (غ) والقَملُ يتناثرُ على وجهي، فقال : ما كنتُ أرى الوَجَعَ بَلَغَ بك ما أرى، أو ما كنتُ أرى الجَهْدَ بَلَغَ بكَ ما أرى، تَجدُ شاة ؟ فقلتُ : لا فقال فصمُ ثلاثة أيامٍ أو أطعِمْ ستَّة مساكين لكلِّ مسكين نصف صاعٍ))[٥٧] .

فالمروي له في هذا الحديث وهو (عبد الله بن معقل) غير مشارك في الحدث وإنما تلقى الرواية من راوٍ مشارك في بناء الحدث وهو (كعب بن عُجرة)، ثم عمد المروي له إلى روايته، وبذلك أصبح حاملاً لصنفين هما الراوي والمروي له، وكانت طريقة روايته سبباً في إخراج (كعب بن عُجرة) من صفة المروي له، إذ جعله يحمل صفة واحدة وهي الراوي، ولو قال (عبد الله بن معقل) حدثني أو أخبرني كعب ...، لتغيرت صفة الأخير ولكنه بقي راوياً مشاركاً يمثل إحدى شخصيات الحديث النبوي، ولو تتبعنا سرد هذا الحديث في مواضع أخرى لوجدنا أنّ طريقة اسناده تختلف عن الأول، إذ يصبح الراوي المشارك ضمن سلسلة السند المعنعنة، التي اخرجه منها (عبد الله بن معقل)، وهذا يبين حصول تحولات في مدار

هذا الحديث فالراوي يتحول إلى مروي له يتلقى ما أخبره الرسول (لكعب) مـن توجيـه أو تقرير شرعي(٥٨) .

ومن ذلك – أيضاً – ما رواه البراء، قال ((اشترى أبو بكر (ا) من عازب رَحْلاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازب، مُر البراءَ فليعمل إليَّ رَحْلي، فقال عازب: لا حتى تُحدِّثنا كيف صنعت أنتَ ورسول الله (غ) حين خرجتما من مكة والمشـركون يطلبـونكم، قـال : ارتحلْنا من مكّة فأحيينا – أو سَرَينا – ليلتَنا ويومَنا حتّى أظهرْنا، وقام قائمُ الظهيرة فَرَمَيـتُ ببصري، هل أرى من ظل فآوِي إليه، فإذا صخرةٌ اتيتها ... ثمَّ فرشتُ للنبي (غ) ثم قلتُ آن الرحيل يا رسول الله، قال : بلى، فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يُدركْنا أحد منهم غير سُـراقة بن مالك بن جعشم على فرس له فقلتُ : هذا الطلب قد لحِقنا يا رسول الله فقال : لا تحزن إن الله معنا)(٥٩) .

نجد أنَّ المروي له في هذا الحديث هو (عازب)، ويمثل الشخصية المتلقية مـن راوي القصة (أبي بكر)، كما نجد إلى جانبه – أي المروي له الأول – مروياً آخـر، قـد اسـتمع للحديث وهو الذي قام بروايته، وهو (البراء)، فأصبح الأخير راوياً مؤطراً، هـو بالأصـل مروي له، تلقى الخطاب أو الخبر من راوي القصة، فيكون على طول الخطاب مرويـاً لـه بشكل مباشر، يتحول بعد ذلك إلى راوٍ يتحدث عن الخطاب المرسل وإنَ كان خارج الحدث، ومن هنا نلحظ أن (البراء) قد حمل صفتين هما، صفة المروي له الذي تلقى الرسـالة مـن راوي القصة، والصفة الأخرى كونه راوياً مؤطراً لما سمعَ ومتحدثاً إلى المروي له الثـاني الذي يكون خارج إطار الرواية أي يكون مجرداً،فهو يتلقى الرسالة من (الراوي – المـروي له) .

وفي أحاديث أخرى وهي كثيرة نجد أن المروي له يتلقى الخطاب السردي مـن راوٍ يكون خارج الحدث، ومنه ما رواه أبو هريرة: ((أنَّ رسول الله (غ) دخلَ المسجدَ فَدَخَل رجلٌ فصلى، ثمّ جاء فسلم على رسول الله (ص) ،فردَّ رسول الله (غ)، قال: أرجِعْ فصلِّ، فإنّكَ لم تُصلِّ، فرَجعَ الرجَلَ فصلى كما كان صلّى، ثم جاء إلى النبي (غ) فسلمَ عليه، فقال رسول الله (غ): وعليك السلامُ، ثم قال : ارجع فصلِّ، فإنّك لم تُصلِّ، حتى فعل ذلك ثلاث مراتٍ، فقال الرجلُ :والذي بعثك بالحق، ما أحسِنُ غير هذا، علمني قال : إذا قمتَ إلى الصلاة فكبِّرْ، ثم أقرأ ما تيسِّر معَكَ من القرآن، ثم اركعْ حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفعْ حتى تعتدلَ قائمـاً، ثـم اسجُدْ حتى تطمئنَّ ساجداً، ثم ارفَعْ حتى تطمئنَّ جالساً، ثم افعلْ ذلك في صلاتِك كُلّها))(٦٠) .

فهنا لا نجد لراوي القصة أي دور فيها، ولم يكن من شخصياتها، قد تلقى المروي له هذه القصة من راوٍ (خارج)، هذا الراوي، يحتمل أنْ يكون شاهداً أو مراقباً أو محكياً لـــه، ولكنه غير مشارك، وهذا ما جعل (المروي له) يحمل الصفتين (الراوي/المروي له) بعد أنْ انتفت من الأول، لعدم توضيح ذلك في سرده للخطاب، فهو لم يبين وجوده مع الرسول فـــي أي مفصل من مفاصل الحكاية .

وقد يكون الرسول هو الراوي والمروي له في مواضع متعددة من الحديث النبـــوي، ومن شواهده، ما رواه الإمام الباقر، قال : ((قال رسول الله (ص) : حدثني جبرائيل (ع)، أنَّ الله عزّ وجلَّ أهبط إلى الأرض مَلكاً، فأقبل ذلك الملكُ يمشي حتى وقع إلى باب عليه رجـــل يستأذن على رب الدار ...))(٦١) .

نجد أنَّ الراوي هو جبرائيل، والمروي له هو رسول الله (ص) الذي بدوره بعد ذلـــك أصبح راوياً مؤطراً لما تلقاه من خطاب سردي، فالرسول لم يكن لـــه دور فـــي تضـــاعيف الحكاية وإنَّما كان غريباً عنها، لذا مثلّ هنا الرسول دورَ (الراوي والمروي له) بعد أنْ انتهى دور الراوي الأصيل .

وفي ضوء ما سبق، يتبين أنَّ لـــ (المروي له) أهميةً في بنية الحـــديث،وكان يمثـــل جزءاً من عملية السرد،إذ تعددت أنماطه،من شخصية مشاركة تقوم بدور ما في الأحداث إلى شخصية مراقبة،تشاهد ما يقع أمام أنظارها، وتسمع ما يدور حولها، فالمروي له هو الـــذي (يحدد قبلياً في بعض الحالات والظروف نوعية ما يريد أن يُسرد عليه)(٦٢)، وهذا ما نجـــده من اهتمام بعض السائلين أو الذين يريدون أن يتعرفوا على جانـــب مـــن جوانـــب الحيـــاة والأعمال النبوية، فيذهب إلى الراوي ليحدد ما يريد سماعه أو معرفته منه فســـردية الـــنص وقيمته، تتأتى من مقدار ما تنجزه رغبة المتلقي أو المروي له في الإشباع السردي(٦٣)، وقد يكون المروي له واحداً متموقعاً في المستوى السردي نفسه الذي يقع فيه الراوي، وقد يشتمل النص على أكثر من مروي له، وهو يختلف تماماً عن القارئ الحقيقي، الذي(يمكن أن يقرأ العديد من السرديات كلٌّ منها يحتوي على مسرود له مختلف، أو السرد نفسه الذي يحتـــوي دائماً على نفس المجموعة من المسرود لهم، والذي يمكن أنْ تقرأه مجموعـــة مختلفـــة مـــن القراء الحقيقيين)(٦٤) الذي لا يقع في دائرة اهتمامنا لهذه الدراسة،فالخطاب السردي قد تتوافر له مجموعة متنوعة وغير محددة من القراء الحقيقيين،ولكنَّه – بالضرورة – يحدد مجموعته

من المروي لهم،فالأخير لا يتعدى عالم السرد المعين، فوجوده يمثل عنصراً مكملاً لعملية السرد المشتملة على (الراوي والمروي والمروي له).

لقد مارس المروي له في نصوص الحديث النبوي سلسلة متكاملة من الوظائف كان أبرزها (التوسط والتشخيص)، فالأول يتجلى في ضوء ما اكتسبه من صفات داخل إطار نص الحديث النبوي، فهو مروي له متحرك، إذ سرعان ما يكون راوياً، وهو بذلك يقوم بوظيفة التوسط بين الراوي الأول والمروي له الثاني، وهكذا يؤسس في إقامة إطار السرد، أمّا الثاني، ونعني به (التشخيص)، فيتجلى من خلال ما أشرنا له سابقاً في تشخيصه للمروي عند طلبه لسماع أمر ما لسؤاله عن شيء ويريد معرفته، هذا من جهة، وتشخيصه للراوي في ضوء ما يكشفه من أدوار قد لعبتها بعض الشخصيات التي قامت برواية الحديث، وهي جزء لا يتجزأ منه، من جهة أخرى، وقد لمسنا ذلك في نصوص الحديث النبوي التي مثّلنا أو لم نمثّل لها .

النتائج

١- تبين لنا أن الحديث النبوي لا يمكن تحقيقه إلا بتوافر (الراوي والمروي والمروي له) وبخلافه فأن ما ينقل هو جزء من المنظومة الحديثية وتعد أقوالاً منسوبة لرسول (ص) .

٢- ظهر من خلال البحث أن للمروي نوعين هما (السرد الموضوعي) الذي يكشف عن ما يتمتع به الراوي من علم بما يرويه فتوحي معرفته هذه بأنهُ عالم بدقائق الأمور فلا تغادرهُ صغيرةٌ أو كبيرة ، و(السرد الذاتي) الذي يبين أن الراوي محدود العلم بوصفه مشاركاً بالحدث فهو جزء منه ؛ لذا فهو يعتمد على رؤيته الداخلية ويكتفي بما يرى ويسمع .

٣- في ضوء آليات الكشف عن وظائف الراوي تبين لنا أن راوي الحديث النبوي يتمتع بوظائف متعددة ومتنوعة تمثلت في (الوظيفة السردية) ، و(الوظيفة التوثيقة) ، و(الوظيفة التنسيقية) و(الوظيفة التعليقية) و(الوظيفة الإبلاغية) .

٤- كان للمروي له صفتان هما الراوي والمروي له فالحديث لا يمكن اقتصار روايته على الراوي الأول وإنما كل الرواة المتوسطين بين المحدث والمتلقي هم (مروي لهم ورواة) في نفس الوقت .

٥- قد يشتمل نص الحديث النبوي على كل من مروي له ولهذا تتعدد روايته وتختلف أحياناً من واحدة إلى أخرى .

٦- يمارس المروي له وظيفتين هما (التشخيص) فيقوم بتشخيصه للمروي عند طلبه لسماع أمر ما لسؤاله عن شيء ويريد معرفته، هذا من جهة، وتشخيصه للراوي في ضوء ما يكشفه من أدوار قد لعبتها بعض الشخصيات التي قامت برواية الحديث، وهي جزء لا يتجزأ منـــه، من جهة أخرى ، و(وظيفة التوسط) ونعني بها ما اكتسبه من صفات داخـــل إطـــار نـــص الحديث النبوي، فهو مروي له متحرك، إذ سرعان ما يكون راوياً .

هوامش البحث

(١) الكلام والخبر: ١٩.
(٢) ينظر : دلائل الإعجاز : ٤٠٦ – ٤٠٨ .
(٣) ينظر : المتخيل السردي : ٦١ .
(٤) المصطلح السردي: ١٥٨.
(٥) ينظر: بنية النص السردي: ٤٥.
(٦) ينظر : السردية العربية : ١٢٠ .
(٧) ينظر : نظرية المنهج الشكلاني : ١٨٩ .
(٨) ينظر : الزمن والرواية، وقضايا الشعرية : ٥٢، وبنية النص السردي : ٤٧ .
(٩) ينظر : خطاب الحكاية : ٢٠١، وفي مناهج تحليل الخطاب السردي : ١٤٥، وبنية السرد في القصص الصوفي : ٢٤٤، ومستويات دراسة النص الروائي : ١٩١ .
(١٠) معجم مصطلحات نقد الرواية : ٤٠ .
(١١) ينظر : تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي : ١١٤ .
(١٢) المتخيل السردي : ٦١ .
(١٣) لغة القص في التراث : ١٥ .
(١٤) ينظر: الألسنية والنقد الأدبي: ١٠٨-١٠٩.
(١٥) تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج النيوي: ١١٤.
(١٦) بنية السرد في القصص الصوفي : ٦٣ ، وينظر : تحليل الخطاب الروائي : ٢٨٦ ، وعن اللغة والتكنيك في القصة والرواية : ١٣٧، ووجهة النظر في الرواية المصرية : ١٠٥ .
(١٧) الكافي : ٢ / ٤١٥ – ٤١٦ .
(١٨) م.ن : ٢ / ٤١٦ – ٤١٧ .
(١٩) صحيح البخاري : ٣ / ١٥ .
(٢٠) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص : ٣١٠ .
(٢١) صحيح مسلم : ٢ / ٥٩٣ – ٥٩٤ .
(٢٢) بنية النص السردي : ٨١ .

(٢٣) في معرفة النص: ٢٣٣.

(٢٤) المنظور الروائي بين النظرية والتطبيق : ٨٥ ، وينظر : في أدبنا القصصي المعاصر : ٢٥، والبناء الفني في الرواية العربية : ١ / ٧٥، والمتخيل السردي : ٦٤ .

(٢٥) بنية النص السردي : ٧٩ .

(٢٦) صحيح البخاري : ٢ / ٨ – ٩ .

(٢٧) م . ن : ٢ / ٥٢ .

(٢٨) الكافي : ٥ / ٨٩٤ .

(٢٩) المسافة ووجهة النظر ضمن كتاب نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير: ٤١.

(٣٠) بناء الرواية : ١٣١ .

(٣١) ينظر : خطاب الحكاية : ٢٦٤ – ٢٦٥، والسردية العربية : ١٤٧ وما بعدها ، والرواية بين النظرية والتطبيق : ١٧٤ .

(٣٢) مسند أحمد : ٧ / ٤٨ – ٤٩، وينظر: صحيح البخاري : ١ / ١٧١، والكافي : ٣ / ١٨٣ .

(٣٣) ينظر: مدخل إلى نظرية القصة: ١٠٤.

(٣٤) صحيح مسلم : ١ / ٤٢ – ٤٣ .

(٣٥) صحيح البخاري : ٤ / ١٠٦ .

(٣٦) ينظر : مدخل إلى نظرية القصة : ١٠٥، والرواية بين النظرية والتطبيق : ٧٥ .

(٣٧) مسند أحمد:٣٨/٧، الذود: بفتح الذال وسكون الواو،من الإبل مابين الثنتين إلى التسع،وقيل مابين الثلاث إلى العشر، والأورق: الأسمر(هامش الصحيفة نفسها) .

(٣٨) صحيح البخاري : ٤ / ٢٨ ، أكاف : ما يوضع على الدابة (هامش الصحيفة نفسها)، وينظر: الكافي :١/١٧٠وما بعدها .

(٣٩) صحيح البخاري : ١ / ١٥٥ – ١٥٦ ، وينظر: الكافي: ١/١٧٠ وما بعدها.

(٤٠) صحيح البخاري : ٨٦/٣، وينظر: مسند أحمد:٢٤١/١.

(٤١) ينظر : مدخل إلى نظرية القصة : ١٠٤، والسردية العربية : ١٤٧، والبناء الفني في الرواية العربية في العراق : ١ / ١٨٣ .

(٤٢) صحيح البخاري : ٢ / ١٢ .

(٤٣) صحيح البخاري : ٢ / ١٥ ، ١٩ .

(٤٤) الكافي : ٢ / ٥٨٨ ، و٢ / ٦١٢ وما بعدها .

(٤٥) ينظر : مدخل إلى نظرية القصة : ١٠٥، والسردية العربية : ١٥٠، ونظرية الرواية : ١٦٦ .

(٤٦) مسند أحمد : ٢ / ٣٥ .

(٤٧) صحيح البخاري : ١ / ١٧٦ . وينظر : ١/١٩٥، ٢٠٠، ٢٠٧ .

(٤٨) صحيح مسلم: ١/٣٠٥، وينظر: ١/٤٠٣.

(٤٩) المصطلح السردي: ١٤٢.

(٥٠) ينظر : خطاب الحكاية : ٢٦٨ . ودليل الناقد الأدبي : ١٩١ – ١٩٢، وقال الــراوي : ٣٨٤ .

(٥١) تحليل الخطاب الروائي: ٣٨٣.

(٥٢) ينظر: معجم السرديات : ٣٨٧ .

(٥٣) فن السرد في قصص طه حسين: ٢٦٧.

(٥٤) السردية العربية : ١٦٢ .

(٥٥) ينظر : السرد العربي القديم : ٩٧ .

(٥٦) ينظر: الصوت الآخر: ١٣٠.

(٥٧) صحيح البخاري : ٢ / ٦ .

(٥٨) وشواهده كثيرة، للإطلاع ينظر : على سبيل المثال لا الحصر، صحيح البخاري : ٢ / ٩، ١٠، ١٢، وما بعدها .

(٥٩) صحيح البخاري : ٣ / ٦ – ٧ . وينظر : ٢ / ٦ . وينظر : صحيح مسلم : ١ / ٣٠٣ وما بعدها .

(٦٠) صحيح مسلم : ١ / ٢٩٨١ . وينظر ما بعدها .

(٦١) الكافي : ٢ / ٤٣٦ . وينظر الكافي : ٣ / ١٣١ .

(٦٢) السرد العربي القديم : ٩٩ .

(٦٣) ينظر: قصص الحيوان جنساً أدبياً: ٢٤٢.

(٦٤) المصطلح السردي: ١٤٣.

المصادر والمراجع

– الألسنية والنقد الأدبي (في التنظير والممارسة)، موريس أبو ناضر، دار النهار، بيروت، ط١، ١٩٧٩م .

– بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م .

– بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، سيزا قاسم، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م .

– البناء الفني في الرواية العربية، د. شجاع مسلم العاني: الجزء الأول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٤.

– بنية السرد في القصص الصوفي، المكونات والوظائف والتقنيات، د. ناهضة ستار، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م .

– بنية النص الروائي، إبراهيم خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

– بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٠م .

– تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م .

– تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، د . يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت، ط٣، ٢٠١٠م .

– الجامع الصحيح – المسند من حديث رسول الله (ص) وسننه وأيامه، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ)، حققه وبّوبه وقام بإخراجه: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، ط١، ١٤٠٠هـ .

– خطاب الحكاية، بحث في المنهج، جيرار جينيت، ترجمة : محمد معتصم وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ١٩٩٧م .

- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ)، تعليق وشرح : محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، ١٩٦٩م .
- دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي ود. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠٠٢م .
- الرواية بين النظرية والتطبيق أو مغامرة نبيل سليمان في (المسلة)، راكز أحمد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط١، ١٩٩٥م .
- الزمن والرواية، أ . أ . مندلاو، ترجمة : بكر عباس، مراجعة : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م .
- السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنيات، إبراهيم صحراوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ومنشورات الإختلاف،الجزائر، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
- السردية العربية (بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي)، عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م .
- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتاب العربية.
- الصوت الآخر، الجوهر الحواري للخطاب الأدبي، فاضل ثامر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٢م .
- في أدبنا القصصي المعاصر، د. شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٩م .
- في مناهج تحليل الخطاب السردي، عمر عيلان، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.
- قال الراوي – البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٧م .
- المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة)، عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م .
- مستويات دراسة النص الروائي، عبد العالي بوطيب، مطبعة الأمنية، دمشق، ط١، ١٩٩٩م .

– المسند للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ)، شرحه ووضع فهارسه : أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م .
– معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٠م .
– معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠٠٢م .
– موسوعة الكتب الأربعة (أصول الكافي وفروعه)، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م .
– نظرية الرواية، دراسة لمفاهيم النقد الأدبي في معالجة فن القصة، د. السيد إبراهيم، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م .
– نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، مجموعة أبحاث، ترجمة : د. ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي الجامعي، الجزائر، ط٣، ١٩٨٧م .
– نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيين الروس)، ترجمة : إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية والشركة المغربية للناشرين المتحدة، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م .

الأطاريح والرسائل الجامعية

– قصص الحيوان جنساً أدبياً، دراسة إجناسية سردية سيميائية في الأدب المقارن، خالد سهر الساعدي، (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٩ – ٢٠٠٠م .

الدوريات

– عن اللغة والتكنيك في القصة والرواية، نموذج تحليلي من يوسف إدريس، حسن البنا، فصول، مج ٥، ع (١)، ١٩٨٤م .
– لغة القص في التراث العربي القديم، نبيلة إبراهيم، فصول، مج ٢، ع (٢)، القاهرة، ١٩٨٢م.
– مسألية القصة من خلال بعض النظريات الحديثة، الرشيد الغزي، الحياة الثقافية، ج١، ع (١)، السنة ٢، تونس، ١٩٧٦ .
– المنظور الروائي بين النظرية والتطبيق، إبراهيم جنداري، مجلة الموقف الثقافي، ع (٤٤)، السنة ٨، ٢٠٠٣م .
– وجهة النظر في الرواية المصرية، إنجيل بطرس، فصول، مج٢ ، ع (٢)، ١٩٨٢م .

Results

It show us that the Hadith cannot be achieved unless the availability of (the narrator and his irrigated and irrigated) Otherwise, what is transferred is part of the system Hadith is of words attributed to the Messenger (pbm .) emerged through research that the quenched two types (narrative objective) which reveals that enjoyed by the narrator of aware of what was narrated inspired know this as a world few minutes things do not leave small or large, and (narrative self), which shows that the narrator is limited science as participants of the event is part of it ; so it depends on the vision and only including internal sees and hears . In the light detection mechanisms and functions of the narrator shows us that the narrator of the Hadith has multiple and diverse functions represented in the (Position narrative) , (notifying task) , and (coordinating function) and (post Altaliqih) and (Position reporting obligations) .it was quenched narrator has two qualities and irrigated his talk can not be limited to the first narrator novel , but all narrators intermediate between the updated and receiver are (talking them and narrators) at the same time. may include the text of the Hadith on each of the Merowe him and this multiple novel and sometimes differ from one to the other . practiced irrigated his two (diagnosis) who shall diagnosis of quenched when requested to hear is what you asked for something and he wants to know , on the one hand, and the diagnosis of the narrator in the light of the reveal of the roles may have played some of the characters that the novel talk , which is an integral part of it , on the other hand , (and mediating function) and we mean what the

qualities acquired within the framework of the text of the Hadith , he quenched his wheelchair , as soon as being .